مقدمة

الجنس.. الجنس.. الجنس....

كلمة أصبحت تلاحقنا أينما كنا.. وحيثما وجدنا

كلمة تطرق أبواب حياتنا الآمنة وبفضول.

كلمة تقض مضاجعنا ولا نعرف كيف نتصرف حيالها.

كلمة تخترق أسماعنا وتأخذ مساحة كبيرة من أفكارنا وأوقاتنا.

كلمة جعلتني أقف مع نفسي متسائلة ما الجديد؟! ما الذي حرك مياه الحياة الراكدة وجعلها تصل لحد الغليان.. ألم يكن الجنس موجوداً منذ وطأت أقدام آدم وحواء الأرض ومنذ أول عناق تم بينهما.. ألم نكن جميعا نتاج عملية جنسية!.

لماذا لم يثر هذا الموضوع في السابق ما يثيره من زوابع الآن؟ لماذا يلعب الجميع على وتر الجنس ودغدغة الأحاسيس؟!

لماذا الجنس.. والجنس فقط وهو تتمثل فيه أسمى وأرق صور الحب.. لماذا الجنس وهو الكون والبشر والفطرة؟ لماذا الجنس بالذات.. وهو أنا وأنت وكل المخلوقات.. ولولاه ما بقيت الدنيا وما عمرت أكوان وما استمرت حياوات.

فماذا يحدث بحق السماء.. ماهذه الغوغائية.. ماذا ألم بنا؟ لماذا الإصرار على تدمير شبابنا وجره لقضية تشغله وتؤرق حياته بهذا الإلحاح.. هل انتهت مشاكلنا جميعا ولم تعد تلوح في الأفق سوى هذه المشكلة؟.. لا أنكر أن الجنس شيء مهم في حياتنا لدرجة أنه ممكن يكون سببا فى نجاحها أو فشلها ولكن لا يجب أن نتناوله بهذه الطريقة الفجة.. إننى لا أجد تفسيراً لما أرى ولا أعرف ما المقصود به.. فكلما أدرت زر التليفزيون يخرج علىّ سيل من الفتيات الراقصات العاريات اللاتي يتمايلن ويغنين بميوعة وصفاقة متناهية وإذا أدرت القناة لأخرى أجد مطربين رجالا ــ أى والله رجال ــ يتمايلون ويتراقصون

حين يغنون وحولهم هؤلاء العاريات فيما يسمى "كليب" وتختلط الأنوثة بالرجولة ولا أدري لمَ.

أطالع الصحف والمجلات فأجدها تتحدث بجرأة شديدة في موضوعات جنسية خاصة جداً يجب ألا تناقش إلا في الفراش تحت بند "الثقافة الجنسية" ناهيك عن الصور العارية لهذه وتلك والأخبار عن النيولوك لفلانة والجديد فى حياة علانة.. إلخ.

أسير في الشوارع فأجد بعض الفتيات يرتدين بلوزات قصيرة – آسفة "تى شيرتات" كما يقلن الآن – وضيقة وعدم وجودها أفضل، والأعجب أنها تكشف عن جزء كبير من بطونهن التي أصبحت – بلا مقدمات – من المناطق المباحة رؤيتها بلا عيب أو خجل..

أنظر للشباب فأجدهم هم الآخرون يرتدون بنطلونات بوسط "ساقط" لأسفل – لا أعرف التسمية العصرية لتلك الموضة– وتظهر ملابسهم الداخلية التي أصبحوا يشترونها من ماركات عالمية أصول الروشنة..وكل هذا لايهم، ولكن المهم هو ما يحدث عندما يضطرون للقيام بأية حركة فلا يظهر جزء من ملابسهم الداخلية فقط بل جزء من "....." ، أكاد أجن مما أرى ماذا حدث للبشر كباراً وصغاراً ؟!

حتى حينما أجالس جمعا من الأهل أو الأصدقاء لابد أن يتطرق الحديث وبسرعة البرق للجنس والفتور الجنسي والجنس الإليكتروني – وسنتطرق للحديث عنه فيما بعد– الذي يمارسه البعض حاليا مما زاد الطين بلة وجعل نسبة العوانس في زيادة مستمرة.. وحين أخذت على عاتقي للبحث في هذا الوضع الجديد وجدت أن كتب الجنس أغلى من مثيلاتها أضعافاً.. فلمَ الجنس والجنس بالذات يطفو على السطح وبهذه الطريقة؟! ومهما حاولنا الانشغال والاستغراق في الأمور الأخرى يلح علينا، فالواقع بكل مقاييسه يفرضه كما لو كان اكتشافا جديدا هبط علينا من السماء فجأة..

أعجب وأتعجب.. ألم يمارس أجدادنا الجنس باستمتاع وبهدوء دون أن ينبسوا بكلمة.. ما هذا التخبط الذي نحياه.. أهي المدنية والتطور والتطلع على الثقافات الأخرى التي لا تناسب طبيعتنا وقيمنا وبيئتنا أم ماذا؟

أجلس مع نفسي وأعود لزمن ليس ببعيد.. زمن أمهاتنا وليس جداتنا.. زمن قميص النوم الأحمر الستان الذي لم يخلُ دولاب عروس منه.. والذي كانت ترتديه الزوجة لإغراء زوجها فيعرف ماذا تريد بالضبط دون مواربة.. الزمن الذي كان لا يرفض الرجل طلبا لزوجته تحت ضغط الظروف والعمل والإرهاق.. زمن الرجولة والشهامة التي تأبى ذلك.. لقد كانت هناك طقوس لممارسة الحب والجنس ربما لا يعلم الأبناء عنها شيئا إلا حين يتلصصون بنوع من الفضول .. كانت هناك لغة فطرية مشتركة بين كل أليفين .. لكل دوره يحفظه عن ظهر قلب، فالمرأة تعمل على راحة الرجل وهدوء بيته وخاصة في وجوده، وتسيطر على الأبناء حتى أنها كانت تصر أحيانا على أن يناموا قبل عودته من الخارج..

ولا تعبأ إذا كان في العمل أو فى زيارة لأصدقائه.. ولا تحاسبه على ذلك ويعرف كل منهما حدوده جيداً.. المهم أن يعود فيجد بيته هادئا، وبالطبع هي تقوم ببقية الطقوس الحياتية من إعداد طعام خاص به وتتزين له .. إلخ.. وتظل ساهرة بجواره لتنفيذ طلباته وإراحته حتى ينام .. وحينها كان الرجل أهم شخصية في البيت في نظر زوجته وأولاده.. فماذا كان يريد الرجل أكثر من هذا حتى يعيش حياة هانئة، وماذا كانت تريد المرأة سوى رجل يحتويها ويشبعها جنسيا ونفسيا وتشعر بجواره بالأمان وبرجولته وفطرته يخرج أنوثتها.. لقد كانت الحياة سلسة وبسيطة .. كل راض بما قسم له ويعمل على إسعاد الآخر..

وبالطبع لم تكن كل بيوتنا هكذا ولكن معظمها.. كنا نسمع أحيانا بأن امرأة لم تتحمل خبر وفاة زوجها فتصاب بالسكتة القلبية ويودعان الحياة معا.. وكانت تتطرق لأسماعنا عبارة " إن هذا الرجل لن يعمر طويلا بعد وفاة زوجته"ـــ بالطبع لارتباطه بها ـــ.. ربما كانت المرأة في تلك الأثناء لا تعرف المانيكير والباديكير، ولكنها كانت تعرف مالها وما عليها.. كانت تعرف "الحجر الخفاف" الذى تحكحك به كعبيها حتى يتوردان.. كانت تعرف الحناء التى كانت تلون بها شعرها وتخضب كفيها وقدميها كنوع من التجمل.. كانت تعرف الكحل السائل الذى يظهر بريق عينيها.. كانت أنثى بالفطرة.. وكان الرجل رجلا كاملا بالفطرة أيضا.

ولنترك هذا الزمن الجميل البسيط الذى لو أسهبنا فى الحديث عنه لكتبنا مجلدات، ونعود ثانية ونسترسل فيما نحن عليه الآن.. زمن الإليكترونيات كما قلنا من قبل.. زمن الجنس الإليكترونى الذى أصبح يمارس عبر النت والدش والقنوات الفضائية.. لقد كنا نقول فى الماضى لأى زوج سيبتعد عن زوجته فى سفر أو غيره هل ستتزوجان "باللاسلكى" لابد من وجودكما معا ــ وكانت هذه الجملة بمثابة نكتة يضحك عليها الآخرون ــ . ولقد تحققت تلك النبوءة وأصبح الناس يتزوجون إليكترونيا عبر كاميرات الإنترنت أو عبر شاشات التليفزيون.. ولمَ لا وكلما أداروا الزر يأتى لهم بشقراء بضة ناعمة لا يمكن مقاومتها مع ما تقوم به من حركات فاضحة، أو سمراء رشيقة تتأوه وتقوم بكل ما يسيل اللعاب.. حتى "الشاذين" لم تنسهم تلك القنوات فيجدون هم الآخرون مطالبهم جاهزة.. وكل هذا ينتشر تحت بند "الثقافة الجنسية" أيضا وما يجب أن يكون .. أية ثقافة هذه التى يتحدثون عنها لا أعلم!.

ولو تركنا هذا الجانب الفج المتحرر وذهبنا إلى الناس العاديين أو الملتزمين قليلا والذين يرون حتى أن الحياة لابد أن تؤخذ بجدية، وأن الفطرة هى الأخرى لا تليق بهم- بالطبع كلهم ليسوا كذلك ولكن شريحة كبيرة منهم- فأحيانا تمر بجوارك فتاة ملتزمة ــ أو نقول متزمتة بعض الشىء ــ وتفوح منها رائحة عرق كريهة وإذا لفت نظرها تقول لك إن مزيلات العرق حرام.. فتخجل أن تقول لها والنظافة ليست حراما، وأن الدين يحث عليها بكل أشكالها.. والغريب أن معظم النساء حتى غير المحجبات منهن يتحجبن للزوج منزليا عن دون قصد فنجدهن فى حالة إهمال تام لنظافتهن الشخصية وزينتهن.. حتى الشعر غالبا لا يمشطنه أحيانا تحت مسمى التدين والإيشارب أو الطرحة ستدارى الشعر ..وما خفى كان أعظم.. متناسيات حقوق الأزواج وقول الرسول ﷺ حين سألته امرأة عن الجهاد وقال لها مامعناه " حسن تبعل إحداكن لزوجها يدخلها الجنة"

والحقيقة أنا هنا لا أتهم الزوجة بالتقصير فى حق زوجها فقط ولكن كثيرا من الرجال يهملون أنفسهم ونظافتهم هم أيضا حتى إننى قرأت فى إحدى الجرائد اليومية منذ أيام قليلة أن محكمة الأسرة حكمت لإحداهن بالخلع نظراً لعدم اهتمام زوجها بنظافته ورائحته الكريهة وإصراره على ذلك.. فالرجل

أيضا قد يترك نفسه لعوامل التعرية دون مقاومة منه، فنجده بعد سنوات قليلة من الزواج يسير حاملا "كرشا" لا تحمله امرأة فى الشهر التاسع من الحمل غير عابئ بالناحية الجمالية إطلاقا.. وأحيانا البعض لا يهتم بمظهره ورونقه إلا حين يذهب لعمله..

ثم نلوم الحب والجنس ونعتب على الزمن والظروف، فمن أين يأتى الكلام الجميل والمجاملات والمداعبات من رجل بهذه التركيبة لامرأة بهذا الشكل.. فالعيب ليس في الحب ولا في الجنس.. العيب فينا نحن الذين ننسى أو نتناسى بشريتنا وفطرتنا ولم تخطئ أم كلثوم حين تغنت قائلة "العيب فيكم لفي حبايبكم أما الحب يا روحي عليه".. ولا أستطيع أن أدعي أننا لسنا في حاجة لتطوير أنفسنا وآدائنا وخاصة مع الطفرة الفضائية والحياتية التي نعيشها حاليا، والتي جعلت مفاهيمنا لأمور كثيرة تتداخل وتختلط، ولكن ماأريده هو عدم المبالغة وخاصة أن العلاقة الجنسية والتي هى محور كتابنا هي العلاقة الوحيدة التي لابد أن يشترك فيها طرفان.

وعلى الرغم من بساطتها الظاهرية إلا أنها تحمل الكثير من التعقيدات بين طياتها.. فعقلنة بعض الأمور أحيانا تعرقلها.. وأنا لست ضد الثقافة الجنسية فى شىء وخاصة التي تمدنا بالمعلومات القيمة التي تفيدنا في حياتنا وفي تربية أبنائنا حتى نصل بهم لبر الأمان، ولكننى ضد اللعب على هذه الوتيرة والسعي وراء كل ما هو مثير لمجرد الإثارة.. ولا أستطيع أن أنكر حاجتنا لتلك الثقافة والمعرفة حتى نهذب فطرتنا ونجملها ونتخطى حاجز الروتين والملل ونواكب العولمة والمدنية الحديثة لأنه للأسف الشديد في مجتمعاتنا الشرقية يعتقد البعض أن الرجولة تكمن في الفحولة وفي ممارسة الجنس دون النظر لإشباع الطرف الآخر أو غيره.. متناسين أن الرجولة تعني أشياء كثيرة، جزء صغير منها الجنس، فدفء المشاعر والألفة والونس والإحساس بالآخر.. كل هذه الأشياء الوجدانية بالطبع مكملة للجانب الحسي المادي.. وليس معني هذا أن الغريزة لا تلعب دوراً مهما في حياتنا، بل يعتبر الجنس من أهم دعائم فشل أو نجاح الحياة الزوجية كما سبق وقلنا.

وللأسف أيضا أن مفهوم العلاقة الزوجية الشائع بين الرجل والمرأة في مجتمعاتنا أنها علاقة تلاحم جسدي بحتة، ولا تدخل في دائرتها جوانب نفسية واجتماعية أخرى.

وما يجب أن نعرفه في هذا الصدد أن الغريزة الجنسية هي إحدى الغرائز الفطرية البيولوجية التي يولد الإنسان مزودا بها وهي جزء لا يتجزأ من تكوينه الجسمي الفسيولوجي والنفسي، وهي غريزة أساسية مثلها مثل كل الغرائز الأخرى كالاحتياج للطعام والشراب.. مثلا، بل تأثيرها أحيانا يكون أقوى ويفوق هذا.. فإذا رأيت رجلا ناجحا في عمله وسعيداً وتبدو على قسماته علامات الرضا فلابد أنه ناجح، في حياته الأسرية على الصعيد النفسي والجنسي.

وكذلك إذا لمحت امرأة تتأبط ذراع زوجها وتنظر له بود وحنان وعطف فاعلم أنها سعيدة وراضية بما تحصل عليه وخاصة على الصعيد الجنسي.

وإذا قابلت شابا متمرداً وتعيسا ورافضا لكل شيء فهذا لأنه يعاني من اضطراب جنسي.

وهكذا فهذه الغريزة لها تأثير كبير على حالتنا النفسية فلم يصر البعض أن يجرجرها من شعرها ويهيل عليها التراب بدلا من أن يجلها ويحترمها ويهذبها ويقدمها في أبهى صورها.

ومما لا شك فيه أن العملية الجنسية في النهاية تؤدي لغرض التناسل وحفظ السلالة وتعمير الكون، ولكن لابد أن يراعى فيها الجانب النفسي، حيث إن التلاقي بالحب والود وصفاء الروح يحقق الاطمئنان ويزيل التوتر ويذيب القلق.. فحين يفرغ كل طرف طاقته الجنسية الكامنة وتشبع غرائزه يترتب على ذلك شعور بأن كلا منهما يمتلك الآخر ولا ينازعه فيه أحد.

إن كثيراً من الناس يغيب عنهم هذا الجانب ويعتقدون أن الجنس علاقة جسدية لتحقيق المتعة الغريزية فقط بينما أن الجنس هو الجانب البيولوجي للحب والنفسي لإثبات الذات، وأن جماله يكمن في كيفية توظيفه وترشيده وأدائه بأسلوب سليم رائع يحقق التوازن بين الجوانب الاجتماعية والنفسية والجسدية.

إن الجانب السيكولوجي للعلاقة الجنسية يتحدد بتخفيف التوتر الجنسي الكائن داخل الإنسان ويضفي عليه نوعا من الراحة والاستقرار النفسي، ويتحدد هذا بالتعبير العاطفي الوجداني بين الطرفين، لأن هناك جزءا معنويا يضاف للجزء المادي ولا يقل أهمية عند إشباع الغريزة الجسدية.

ولا أخفيكم سراً حينما بدأت أخط أول حرف في كتابي هذا كان تفكيري مشتتا.. لا أعرف من أين أبدأ ولا أين أنتهي.. فموضوعه على الرغم من أنه شيق إلا أنه محرج لى كامرأة شرقية تحمل بداخلها تراثا يحكمها ويتحكم في تصرفاتها ــ وليس ككاتبة ــ مما كان يجعلني أتوقف عن الكتابة فيه لفترات.. ولكني أصررت أن أخوض التجربة. وكان تفكيري منحصراً في كل أفراد الأسرة وأخص بالذكر كل رجل وامرأة تربطهما علاقة زوجية مشروعة أو في طريقهما إليها وقد قال الله تعالى:﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾.. فهذه الرابطة المقدسة تحمل بين جنباتها الحب والرحمة والمودة والإشباع الجنسي والوجداني، ولابد من وجود توافق وتكافؤ حتى نضمن استقرار العلاقة التي تعتمد بصفة أساسية على الجنس.

ولقد تناول الكثير من الكتاب الكتابة في هذا المجال على مدار أزمان وأزمان والبعض تناول الكتابة بطريقة فجة مثيرة مركزا على الجانب الحسي فيها فقط من حيث العملية الجنسية في حد ذاتها، والبعض كان يقدم معالجات جادة ومفيدة.

وأنا بصفة شخصية أرى أن الأمر أبسط بكثير من كل هذه التعقيدات، فلو نظرنا حولنا لأبسط المخلوقات من طيور وحيوانات ورأينا كيف يوجهون فطرتهم لتعلمنا الكثير والكثير، ولقد استوقفتني علاقة "حب" ولا أقول "جنس" بين قطتين في الطريق العام وأمام المارة، فأخذت أترقبهما باندهاش وفضول متمنية أن كنت حاملة كاميرا فيديو لأصور ما أرى من دفء المشاعر وسخونة الأحاسيس.. فقد كانت القطة "الأنثى" تتدلل كما لو كانت امرأة مدربة على أعتى فنون الحب.. فتارة تتمدد أمام القط بدلال، وحينما تجده ساكنا لا يهتم بها تبدأ " تتمرمغ" بحركات مثيرة راقصة.. فيذهب إليها مسرعا محاولا الإمساك بها من رقبتها فتصرخ منغمة صرخاتها، ثم تتملص منه بخفة وتجري وتختبئ فيجري وراءها ثانية.. وحينما لا يراها ينادي بصوت عال علها ترحم لهفته وتثبت

مكانها.. ويتكرر المشهد عدة مرات محاولا استرضاءها بأن يلحس رقبتها بلسانه عله يهدئ من روعها، ثم فجأة يتشابكان بالأيدي ويعض كل منهما الآخر.. ويتناجيان بأصوات يفهمها كل منهما.. و..و.. إلخ، وفي لحظة اختبأ معا وغابا عن عيني تحت إحدى السيارات ووقفت متسمرة مكاني ولسان حالي يهمس بـ"سبحان الله.. هو على كل شيء قدير" فما بال هذه القطة تفعل ما تفعله بفعل الفطرة التي هي أكبر معلم للمخلوقات..إنها لم تر دشا ولم تفتح تليفزيونا ولم تقرأ كتابا يثقفها جنسيا، ومع ذلك تمارس الحب بكل دلال ودفء وغزل كما لو كانت تحمل دكتوراه في دغدغة المشاعر "سبحان الله" ثانية..

ولو تركنا عالم القطط ونظرنا للعصفور هذا المخلوق الرقيق شكلا وموضوعا وكيف يمارس الحب ويناجي حبيبه.. وكل الطيور والحيوانات لو تأملناها لرأينا عجب العجاب.

ومن أطرف ما قرأت في إحدى الصحف اليومية عن دراسة أمريكية كانت تجري على الفئران فاكتشفوا أن الفأر يغني لأنثاه حتى تنجذب إليه..وقد استطاعوا تسجيل صوته على جهاز كمبيوتر من أجل أن يسمعه بني الإنسان.. وربما أخذنا الحكمة من أفواه الفئران.

استوقفني كل هذا متسائلة إذا كان هذا هو سلوك الحيوان فلمَ نعقد نحن بني الإنسان الحياة هكذا؟ مالنا لا نفهم أنها أبسط بكثير مما نحن عليه وإنه لو تركنا أنفسنا للفطرة التي فطرنا عليها مع بعض التهذيب ما تعقدت حياتنا.

فلو نظرنا للغريزة الجنسية ببعض التأمل سنجد أنها تعلن عن نفسها منذ لحظة الميلاد وبداية مشوار الحياة، وبالطبع في كل مرحلة من مراحل حياتنا تأخذ شكلا يختلف عن غيره.. فنجد أنها تختلف عند الطفل عن المراهق عن الرجل والمرأة.. وكل مرحلة تصل به لما بعدها فيتأهل الشخص جنسيا ويصبح الطريق ممهداً حتى يصل في نهاية الأمر لشخص ناضج نفسيا وجنسيا.. ولذا سأتناول بين طيات صفحاتي "الحياة الجنسية" منذ الطفولة وحتى الكهولة بمراحلها جميعا، حتى نقف على سلبيات وإيجابيات كل مرحلة، متناولة موضوعات أعتقد أنها تهم الجميع، كالتربية الجنسية في الطفولة وكيفيتها وما الهدف منها ومشاكل المراهقة الجنسية والنفسية.. والمشاكل الجنسية والنفسية

التي تعاني منها المرأة وكذلك الرجل مع بعض الموضوعات التي تهم الأسرة، كالتوافق الزواجي وكيفية تحقيقه، والخيانة الزوجية وأسبابها ودوافعها والأمراض الناتجة عن العدوى الجنسية وكيفية العلاج وطرق الوقاية..

ونتناول أيضا الشذوذ الجنسي وأسبابه والشخصيات المريضة وطريقة تناولها للجنس والعقد النفسية الجنسية والأطعمة والأعشاب التى تثير الرغبة الجنسية والعقاقير المخدرة وتأثيرها وغيرها من الموضوعات الشيقة التي أعتقد أنها تمس صميم حياتنا والتي جذبتني وعكفت على قراءتها والبحث فيها لأكتب عنها بمصداقية، وستتوالى المراحل والمواضيع تباعا، وأتمنى أن يستفيد منها الجميع وتستنفر حفيظتهم فيسعون للاطلاع أكثر وأكثر.

والله ولي التوفيق

المؤلف